

## سبرانو مصرية تعبر للعالمية من بوابة الغناء الأوبرالي

فاطمة سعيد

مطربة شابة تشدو بأربع لغات على مسارح أوروبا



● نجاح فاطمة سعيد المُبهر وحضورها المتنامي يعكسان فخرا واعتزازا باصولها العربية، ويبتآن نوعا من التفاؤل كون الخارطة الفنية ليست سوداء تماما تحت غلالات التطرف والتعصب.



● صوتها وهي تُغزّد بأغان ساحرة باللغات العربية والفرنسية والإسبانية والإيطالية يبدو دافئا شجيا وقريبا من النفس، وهو يحكي حكايات إنسانية تمس الوجدان، حتى وإن لم يكن المتلقي يفهم كلمات الأغنية المطروحة بلغة مغايرة.

ومسرح أوبرا هامبورغ، الغيفاند هاوس في لايبنتسج، والكونسرت هاوس في برلين، إلى جانب مسارح دوسلدورف وبون وباد كيسينغن وميونخ. كما غنت في الأوبرا الملكية في مسقط وفي قاعة ويغومر هول في لندن بإنجلترا، وأوبرا ويسفورد والموتسارتيوم في سالزبورغ، والكونسرت هاوس في فيينا، ودينا في فرنسا. وقامت أيضا بتسجيل السيمفونية الثامنة لمارك تحت قيادة المايسترو آدم فيشر في دوسلدورف، والتسجيل لراديو الـ"بي بي سي" مع أوركسترا الـ"بي بي سي" الفيلهارموني، إلى جانب مصاحبتها لأوركسترا برمنغهام الفيلهارموني الملكي في قاعة برمنغهام السيمفونية. فضلا عن قيامها بعدة جولات موسيقية، منها جولة في عدة مدن فرنسية لتغني دورة "شهرزاد" مع أوركسترا الشونزاليه لرافيل، ثم فوريه ريكويم في امستردام على مسرح الكونسرتجاو التاريخي.

## السندريلا وحلاق إشبيلية

توجد أدوار عديدة لا ينساها جمهور الأوبرا في أوروبا للسبرانو سعيد، منها دور نانيت في أوبرا "فالسيف"، وكلويندا في أوبرا الأطفال "سندريلا"، ودور بيرتا في أوبرا "حلاق إشبيلية"، ودور لامور في أوبرا "أورفيليا وأوريبسيس" التي أقيمت على مسرح لاسكالا عامي 2017 و2018. وطوال مسيرتها شاركت الكثير من المغنيين والموسيقيين العالميين مثل زابينه ماير ورولانفو فيزارون وخوان ديبغو فلوريز وميتشيل شادي وغوزيه كوره، وغيرهم.

يبدو أن النجاح المبهر والسريع لسعيد لفت انتظار الحكومة المصرية والنخبة المثقفة في القاهرة، والتي حرصت على تكريمها، باعتبارها نموذجا للشباب المثقف والبدع والقادر على الارتقاء وتحقيق حلمه في العالمية. ودعت عدة مرات لمؤتمرات الشباب التي تعقدتها مؤسسة الرئاسة في مصر، وقامت بالغناء في احتفالات عامة للأطفال والمرأة، وتم اختيارها لتمثل بلدها في الاحتفال بمؤتمر حقوق الإنسان في جنيف، الذي أقامته الأمم المتحدة، وغنت وقتها لحق الطفل في الحصول على تعليم مناسب.

قام المجلس القومي المصري للمرأة بتكريم فاطمة سعيد باعتبارها نموذجا مشرقا للفتاة المصرية، رغم أن عمرها لم يتجاوز الخامسة والعشرين وقتها. وحصلت السبرانو الشاببة على جائزة الإبداع من رئاسة الجمهورية في مصر لتصبح بذلك أول مغنية أوبرا تحظى بذلك التقدير.

رأت أن لديها موهبة قوية وسرعة بديهية وقدرة جيدة على سرعة إتقان اللغات المختلفة فنصحتها باستكمال تعليمها في ألمانيا.

سافرت إلى برلين لتدرس الغناء في جامعة هانز آيسلر تحت إشراف ريناته فالنتين، ثم حصلت على البكالوريوس في الغناء سنة 2013، واتبعتها بالفوز بمنحة في أكاديمية تيأترو الإسكالا في مدينة ميلانو في إيطاليا. ثم اختبرت المشاركة في أعمال عالية خالدة لتصبح أول مغنية مصرية تقف على مسرح الإسكالا، الذي يمثل حلما لكل مطرب أوبرالي في العالم. وقد برعت في بطولة أوبرا "الناني السحري" موتسارت تحت قيادة آدم فيشر وإخراج بيتر شتاين، وسجلت أوبرا "أرتي" والتي تمت إذاعتها في قناة التلفزيون الأوروبي عام 2016 ولافت نجاحا عظيما، ما جعل الجمهور يتفاعل معها ويعتبرها الصوت الأكثر تفضيلا.

الصحف الألمانية والإيطالية وصفت السبرانو المصرية بأنها اكتشاف واعد، وأن أداءها مبهر وخال من الأخطاء، ورأى بعض النقاد أن صوتها قريب الشبه بمطربة الأوبرا العالمية اليونانية ماريا كالا. خلال تلك الفترة حازت سعيد جوائز عديدة كان من أشهرها جائزة "فيرونكا دن" العالمية للغناء في مدينة دبلن في إيرلندا عام 2016، ثم حصلت على المركز الأول في مسابقة الأوبرا العالمية السابعة لليالي جننر في إسطنبول.

كان نصيبها المركز الثاني في مسابقة الغناء العالمية السادسة عشرة لروبرت شومان في مدينة تسفيكاو بألمانيا، وجائزة غوليو بيروتي الأولى لأوبرا في ألمانيا، وغنت على مسارح عالمية عديدة، مثل مسرح سان كارلو في نابولي في إيطاليا،

أغنيها «وداع المرأة العربية» من كلمات الروائي فيكتور هوغو، ومن أعمال الموسيقار بيزيه، وفيها يصاحب سعيد عازف البيانو الشهير مالكوم مارتنينو، وهي مستفاعة من قصيدة كتبها هوغو في القرن التاسع عشر ضمن مجموعة نصوص حملت عنوان «الشرفيون»

الناني وغنّ" بصوت قوي وعال وإحساس موسيقي مختلف، لتبدو كأنها أغنية جديدة تسمع للمرة الأولى، وهو ما كان محل اهتمام وإعجاب جمهور الأوبرا من العرب أو غير العرب. حكّت سعيد، عبر صفحتها الرسمية على فيسبوك، عن اليوم "النور"، مؤكدة أن المعنى المقصود من العنوان التأكيد على أن الموسيقى نور يضيء للإنسانية دروبها المظلمة، وأنها لغة في حد ذاتها وعابرة للحدود، يفهمها الإنسان ويتفاعل معها في كل مكان. وقد استغرق إعداد الألبوم، حسب قولها، قرابة العام وركزت فيه على المزج بين الثقافات المختلفة ومد خطوط تواصل بين موسيقى كل بلد متوسطي مع البلد الأخر. وفتت سعيد في قاعة البرت الملكية بلندن قبل شهر أمام أكثر من خمسة آلاف مستمع، منهم ثلاثمائة شخص لم يجدوا مقاعد خالية واضطروا للوقوف لساعات للاستماع لصوتها الشجي، وهي تترنم بلغات عدة أقتنتها، وبرتت في تطوير أداء الأغاني المعروفة وإعادة تقديمها بطريقة مستحدثة وإحساس عميق يلامس كل معنى، ويعيد رسم كل كلمة لتبدو المتعة حاضرة بلا حدود.

## رحلة صعود مبكرة

قبلها طافت السبرانو المصرية قاعات فن عديدة وشاركت في حفلات موسيقية متنوعة في دول أوروبية مختلفة، لتسحر أذان المستمعين بقوة صوتها وعمق إحساسها، وإدراكها لكل معنى بلغته الأصلية حتى اعتبرها الألمان الألمانية، والإيطاليون الإيطالية، والفرنسيون فرنسية.

ولدت في القاهرة عام 1991 في أسرة عاشقة للفن والموسيقى، وكان والدها عضوا في البرلمان المصري، وودت موهبتها منذ طفولتها في المدرسة الألمانية بالقاهرة، إذ كانت تغني في كثير من الحفلات المدرسية، حين رأى مدرس الموسيقى الألماني أن صوتها خلال الغناء ميمّ شجعها على دراسة الغناء وتوقع لها أن تصبح مغنية أوبرا مشهورة، ونصحها بأجراء بعض التمارين، والتعلم على يد أستاذة الغناء الأوبرالي بالاهرة المصرية للتعليم على يد أستاذة الغناء الأوبرالي بالاهرة المصرية نيفين علوية التي

الغريد" في فضل الغناء، حيث قال "وقد يتوصل بالالحان الحسان إلى خير الدنيا والأخرة، فمن ذلك أنها تبعث على مكارم الأخلاق من اصطناع المعروف وصلة الأرحام والذب عن الأعراض والتجاوز عن الذنوب".

كان من اللافت أن مجلة "أوبر" الألمانية، حيث تعيش سعيد الآن في مدينة برلين، اختارتها كشخصية لغلقتها في عدها الأخير، أكتوبر 2020، وذلك احتفاء باليومها الغنائي الجديد الصادر قبل أيام تحت عنوان "النور" من إنتاج شركة "وارنر كلاسيك" العالمية، ما يُمثل عملا فريدا يكاد يكون غير مسبق بين الفنانين العرب.

يضم الألبوم لأول مرة في الألبومات التي يطلقها مَن واحد، أغاني مختلفة بثلاث لغات، ويمزج بين الفن الكلاسيكي القديم وما يضم من أغاني الفلكلور الشعبي في عدة بلدان متوسطية، بالموسيقى الغربية الحديثة، وكأنه يؤكد أن الفن واحد ولو اختلفت اللغات وتعدت الأزمنة.

وتحاول المغنية الشابة التي تعتبر المرحلة أم كلثوم، رغم الفارق في اللون الغنائي، قوتها ومثلها الأعلى، رسم جسور للتألف والتعايش والتلاقح بين الشعوب من خلال روائع ساحرة أثرت في أجيال عديدة، منها مثلا أغنية "يامامه بيضا" وهي من التراث المصري القديم، كتب كلماتها داوود حسني قبل بداية القرن العشرين، وغناها مطربون كثر على مر الزمن بتوزيعات موسيقية مختلفة، لكنها لم تُغنّ من قبل بأسلوب أوبرالي.

ومن أغانيها أيضا أغنية "وداع المرأة العربية"، وهي أغنية فرنسية شهيرة من كلمات الروائي فيكتور هوغو، ومن أعمال الموسيقار بيزيه، وفيها يصاحب سعيد عازف البيانو الشهير مالكوم مارتنينو. وهذه الأغنية في الأصل قصيدة كتبها هوغو في القرن التاسع عشر ضمن قصائد حملت عنوان "الشرفيون"، ونشرت سنة 1829، وتحكي حكاية امرأة عربية تعيش قصة حب مع رجل أوروبي، اضطّر للسفر إلى بلاده وتركها وحيدة، فجلت إلى الغناء لتذكّره بالذكريات الجميلة معه وتخبره كم تشتاق إليه. وإذا كان الجمهور الفرنسي عرف الأغنية عبر موسيقى تقليدية اقتصر فيها على استخدام آلة البيانو، فإن فاطمة سعيد قررت في إطار محاولاتها للتجريب والتجديد استخدام الناي ضمن الآلات للتعبير عن الموسيقى الشرقية، كأنها تقول إن امرأة تعبر عن الشرق تحتاج لآلة موسيقية شرقية تتناسب مع بيئتها. ويضم الألبوم الجديد أيضا أغنية إسبانية شهيرة يقول فيها الحبيب لحبيبتة "أريد أن أغزل ضفائر شعرك سلاسل تحوطني للأبد"، وهي من كلمات فرناندو أوبرادورز، ويعزفها على الغيتار رافائيل أجيره. أعادت سعيد تقديم أغنية فيروز الشهيرة "اعطني

مصطفى عيد  
كاتب مصري

حجرتها تجعل المستمع يهيم في سحر الغناء العذب وتصفق روحه بهجة، بعد أن أصبحت بصوتها الأوبرالي القوي، نموذجا فريدا، وباتت تحظى باهتمام ومتابعة كل متذوق للموسيقى، حيث يرنو إليها كثيرون بعين الإعجاب ليمتلئوا سلاما وأمانا ورضا.

يعكس نجاح المغنية المصرية فاطمة سعيد المبهر وحضورها المتنامي فخرا واعتزازا باصولها العربية، ويرش نسائم من التفاؤل، كون الخارطة الفنية ليست سوداء تماما تحت غلالات التطرف والتعصب، وأن بلادنا المحسوبة على العالم النامي يمكن أن تُخرج مبدعين ساحرين قادرين على لفت أنظار العالم.

## صوت البهجة

تحمل سعيد لقب "السبرانو"، وهو لقب أوبرالي يُمثل درجة عالية من إتقان الغناء قلما تحوزه فتاة شابة لم تتجاوز الثلاثين من عمرها. ويبدو صوتها وهي تُغزّد بأغان ساحرة باللغات العربية والفرنسية والإسبانية والإيطالية دافئا شجيا وقريبا من النفس، وهو يحكي حكايات إنسانية تمس الوجدان وتصل إلى القلب وتبعث في المتلقي شعورا غامرا بالسعادة والبهجة، حتى وإن لم يكن هذا المتلقي يفهم كلمات الأغنية المطروحة بلغة مغايرة.

مجلة «أوبر» الألمانية، والتي تصدر حيث تعيش سعيد الآن في مدينة برلين، اختارتها كشخصية لغلغاف عدها الأخير في أكتوبر الجاري، وذلك احتفاء بألبومها الغنائي الجديد الصادر قبل أيام تحت عنوان «النور» من إنتاج شركة «وارنر كلاسيك» العالمية

لقد اختبر كاتب السطور ذلك الإحساس الجميل عندما استمع إلى السبرانو الشابة وهي تشدو بأغنية فيروز الجميلة "اعطني الناي وغنّ" والتي أبدع كلماتها الشاعر جبران خليل جبران، ما جعله يتذكر عبارات ساحرة كتبها الكاتب العربي ابن عديريه، قبل أكثر من ألف سنة في كتابه الأثير "العقد